حين وقع سقراط في الحب
هل وضعت امرأة أسس الفلسفة الغربية؟!

When Socrates Fell in Love
Did a Woman Lay the Foundations of Western Philosophy?

دكتور/ صلاح عثمان (أستاذ المنطق وفلسفة العلم – رئيس قسم الفلسفة – كلية الآداب – جامعة المنوفية – جمهورية مصر العربية)

Salah Osman

(Menoufia University, Egypt)

salah.mohamed@art.menofia.edu.eg

DOI: 10.13140/RG.2.2.34975.64161

مقال منشور في جزأين بموقع أكاديمية بالعقل نبدأ، بتاريخ ٩، ١١ يناير ٢٠٢٢
With Mind We Start Academy, 2022, January 9, 11.

في كتابه «حين وقع سقراط في الحب: صناعة فيلسوف» Socrates in Love: The Making of a Philosopher، الصادر في مارس من سنة ٢٠١٩ عن دار «بلومبزبري» Bloomsbury البريطانية، يُقدم الكاتب والموسيقي البريطاني «أرماند دانجور» Armand D'Angour (أستاذ الكلاسيكيات بجامعة إكسفورد Oxford University) طرحًا مثيرًا وجديرًا بالنظر حول حياة «سقراط» المُبكرة، ومدى تأثير فترة الشباب بما فيها من زخمٍ عاطفي على الرجل الذي نثر بذور الحكمة في أثينا، ودافع عنها حتى حوكم وأعدم إيمانًا بها!

الكتاب لا ينبش فقط في أحداث تلك الفترة المُبكرة المُهملة من تاريخ الفلسفة السقراطية، بل يسعى بقوة إلى رسم ملامح الدور المُستبعد – ربما عمدًا – للمرأة في صياغة مصفوفة الأفكار الفلسفية الكُبرى عبر تاريخها، متسائلاً: من أين استقى «سقراط» (الشخصية التأسيسية للفلسفة الغربية) الإلهام لأفكاره الأصلية حول الحقيقة والحب والعدالة والشجاعة والمعرفة؟ ولماذا يتغاضى مؤرخو الفلسفة عن فترة شبابه في أثينا إبان القرن الخامس قبل الميلاد، حين كان على علاقة وثيقة بتلك المرأة البارزة، شديدة الجمال والذكاء، المعروفة باسم «أسباسيا الملطية» Aspasia of Miletus؟ أليس من المعقول أن نفترض أن أفكارها حول الحب والتعالي قد ألهمته صياغة العناصر الرئيسة لفكره (كما نقلها «أفلاطون»)؟

بدايةً تُظهر لوحة تاريخية للرسام الفرنسي «نيكولاس أندريه مونسياو» Nicolas Andre Monsiau (١٧٥٤ – ١٨٣٧) «سقراط» جالسًا على طاولة أمام الفاتنة «أسباسيا» التي ترتدي ملابسها الأنيقة وتتحدث إليه مُلوحةً بذراعيها، بينما يرمقها الجندي الشاب الوسيم «أليكيبيادس» Alcibiades بعينيه. وتعكس اللوحة صورة «سقراط» المُعتادة تاريخيًا: رجلٌ فقير وقبيح، عُرف منذ منتصف عمره بخلعه للحذاء وارتدائه ملابس ممزقة!

نقاش «سقراط» و«أسباسيا» للرسام الفرنسي «نيكولاس أندريه مونسياو»

Source:
https://pushkinmuseum.art/data/fonds/europe_and_america/j/2001_3000/zh_1248/index.php

كان كُتَّاب السيرة الذاتية لسقراط: «أفلاطون» Plato و«زينوفون» Xenophon، يقدمونه فقط كرجلٍ حكيمٍ طاعنٍ في السن، لكن سقراط كان في يومٍ من الأيام شابًا، وكان معاصرًا لأسباسيا بشكل مباشر. ومن الصور الباقية للفيلسوف، والمعلومات العرضية التي قدَّمها كُتَّاب سيرته الذاتية، والنصوص المكتوبة القديمة التي تم التغاضي عنها أو إساءة تفسيرها بشكل عام، تظهر

صورة مختلفة لسقراط: صورة شابٍ *فتيّ* السن، تلقى تعليمًا جيدًا، نشأ كجندي لا يقل شجاعة عن «أليكيبيادس»، ومُفعم بالعاطفة والقوة وصفاء الذهن!

اشتهر «سقراط» بقوله: «الشيء الوحيد الذي أعرفه هو أنني لا أعرف»، لكن «أفلاطون»، في «الندوة» Symposium، نقل عنه قوله إنه تعلَّم «حقيقة الحب» من امرأة ذكية، أُطلق عليها اسم «ديوتيما المانتينية» Diotima of Mantinea، وهو اسم مستعار لامرأة يونانية، ذُكر أنها عاشت سنة ٤٤٠ قبل الميلاد تقريبًا، وكانت أفكارها وعقيدة «إيروس» Eros التي ذكرها «سقراط» في الحوار هي أصل مفهوم «الحب الأفلاطوني» Platonic love. وفي الندوة يشرح «سقراط» مذهبها. لكن كافة مؤرخي الفلسفة الغربية تقريبًا شكَّكوا في الوجود الفعلي لامرأة تحمل اسم «ديوتيما». صحيح أنها وُصفت في المحاورة ككاهنةٍ أو عرَّافة، لكن المُعتقد الغالب أنها كانت في أحسن الأحوال شخصية مجازية تُعبر عن بصيرة أو قدرة روحانية ألهمت الفيلسوف أسرار الحب! ومع ذلك، يترك «أفلاطون» بعض القرائن الدقيقة بشكلٍ مثيرٍ للفضول حول هوية «ديوتيما» التي ظلت غامضة لقرونٍ طويلة، لعل أبرزها ما ذكره صراحةً في محاورة «مينيكسينوس» Menexenus من أنه قد تلقى دروس البلاغة على أيدي «أسباسيا».

لقد عُرف «سقراط» كفيلسوف في الثلاثين من عُمره، لكن ماذا عن الفترة التي كان فيها شابًا في سن المراهقة والعشرينات من عُمره؟ إن هذه الفترة المُبكرة من حياته هي الموضع الذي نحتاج إلى البحث فيه عن نقطة تحوله الكُبرى لكي يغدو فيلسوفًا، وهي الفترة التي عاصر فيها «أسباسيا» وأُعجب بها، ورُبما وقع في غرامها. وبعبارة أخرى، نحن في حاجة لأن نعرف كيف نشأ وتعلم وأحب وتفاعل مع المجتمع الأثيني؟ تُشير المصادر التاريخية إلى أنه في طفولته، كان تلميذًا لمُعلم الموسيقى والرقص المعروف آنذاك «لامبروس» Lampros، وقد كان هذا الأخير أيضًا أستاذًا لكاتب التراجيديا الإغريقية المشهور «سوفوكليس» Sophocles (الذي كان أكبر من سقراط بخمسة وعشرين عامًا). وعندما أصبح مراهقًا درس أفكار الفلاسفة الأوائل (ما قبل السقراط) مثل «أناكساغوراس» Anaxagoras، الذي كان مقربًا من السياسي اليوناني الكبير «بريكليس» Perikles، ثم أصبح التلميذ الحميم لمفكرٍ آخر لا يقل أهمية هو «أرخيلاوس» Archelaus (تلميذ «أناكساغوراس»). كل هذا يُعد دليلاً على أن «سقراط» قد نشأ بين أبناء الطبقة العليا في المجتمع، وفي صُحبة شباب تدربوا على الشعر والموسيقى والخطابة والفلسفة والرقص والمصارعة والقتال، ويُقدرون الإنجازات الفكرية والموسيقية، بالإضافة إلى البراعة الجسدية والشجاعة في ساحة المعركة. ولم يكن «سقراط» يقل عنهم رغبةً في المنافسة والتفوق في تلك المجالات، ما يُعد تأسيسًا جيدًا له للولوج في حياة العقل، والزهد في النجاح المادي الزائف، وإعادة توجيه التفكير الفلسفي للأجيال القادمة.

ربما تُفاجئ هذه الصورة أولئك الذين كانوا وما زالوا يتخيلون أن «سقراط» كان فقيرًا مُعدمًا، ومن بيئة اجتماعية متدنية. حقًا لقد تغير مظهره في وقتٍ لاحق من حياته، وكان يتجول في الأسواق حافي القدمين، مرتديًا ثيابًا ممزقة، لكنه أُجبر على القول (في نسخة «أفلاطون» من دفاعه المشهور عن نفسه وقت محاكمته) أنه اختار الفقر من أجل متابعة دعوته! ولعل أقدم وصف مرئي له كان في مسرحية «السُحب» لأريستوفانيس Aristophanes' play Clouds (٤٢٣ قبل الميلاد) عندما كان عمره ستة وأربعين عامًا، ولم يُصوَّر فيها على أنه قبيح أو بائس، وإنما كمفكر هزيل، طويل الشعر، يُروج لأفكارٍ تهدف إلى إفساد الشباب والاستخفاف بالعقيدة الدينية. وباعترافه هو شخصيًا، لم يزد وزنه إلا بعد انتهاء فترة مشاركته في الحرب في الخمسينيات من عمره!

أضف إلى ذلك أن تصوير «أفلاطون» و«زينوفون» له كرجلٍ يتمتع بمستوى عالٍ من التعليم والمعرفة والسلطة الفكرية، إنما يفرض استنتاجًا مفاده أنه تلقى بالفعل تعليمًا جيدًا في فترة طفولته وشبابه، ولم يكن ذلك الطفل أو الشاب المُهمل أو غير المتعلم لأب مُعدم. وحيث أنه كان مقاتلًا منتظمًا في معارك أثينا حتى أواخر الأربعينيات من عمره، فمن المؤكد أنه كان يمتلك أيضًا مؤهلات الثروة التي تتيح له ارتداء بذلة باهظة الثمن (بدلة الدروع)، شأنه شأن جنود المشاة المدججين بالسلاح في ذلك الوقت!

كان والد سقراط «سوفرونيسكوس» Sophroniscus بَنَّاءً، لكن هذا لا يعني أنه كان بالضرورة فقيرًا، بل قد يعني حرفيًا أنه كان ثريًا. ربما كان مثلاً رجل أعمال يدير شركة للمقاولات (بمصطلحاتنا الحالية) يعمل بها كثرةً من العبيد، في وقت كانت فيه أثينا تنفذ عددًا كبيرًا من النُصب ومشروعات البناء بعد الحروب الفارسية. كذلك كانت لسوفرونيسكوس صلاتٌ رفيعة المستوى في قريته الأصلية، حيث كان من المعروف أن أقرب أصدقائه هناك هو «ليسيماخوس» Lysimachus (أحد القادة الخلفاء للإسكندر الأكبر، ابن بطل الحرب «أريستيدس» Aristides)، وهو رجلٌ كان يتمتع بمكانةٍ نخبوية لا تشوبها شائبة. وقد تزوج «سقراط» في البداية من «ميرتو» Myrto ابنة رجل الدولة «ليسيماخوس» Lysimachus (ويُقال أنها حفيدة «أريستيدس»)، وأنجب منها ولديه الكبيرين، وذلك قبل وقت طويل من لقاء زوجته اللاحقة «زانثيبي» Xanthippe (المشهورة بالفصاحة) في الخمسينيات من عمره.

أما «أسباسيا» (حوالي ٤٦٠ – ٤٠٠ قبل الميلاد) فيذكر بعض المؤرخين أنها كانت من نساء الهيتايرا Hetaira، وهو اسم أطلق على طائفة من النساء كُن يعملن كرفيقات محترفات لعِلية القوم من الرجال في المجتمع الأثيني القديم، وكُن يتمتعن بالجمال والأنوثة والرشاقة، وعلى درجة عالية من المهارة في فنون الحب واللباقة والبلاغة والموسيقى، وكان أغلبهن من أماكن مختلفة

بعيدة عن اليونان. وعلى الرغم من أن معظمهن انخرطن في علاقات جنسية مع رُعاتهن، إلا أنهن لم يكن فتيات دعارة. ولم تكن «أسباسيا» هيتايرا نموذجية، بل وتُنفي بعض المصادر كونها أصلاً من الهيتايرا، لكنها مع ذلك كانت ناجحة بشكلٍ استثنائي نظرًا لما تلقته من تعليم في الفنون الأدبية والفلسفة والبلاغة والموسيقى، بل وفي فنون الحب والإشباع الجنسي، وهو ما أتاح لها التحدث مع الرجال بطريقة لا تستطيع الزوجات التقليديات التحدث بها (بسبب محدودية فرص الحصول على التعليم الرسمي التي تُمنح للفتيات والنساء من أسر المواطنين الأثينيين في ذلك الوقت) لذا كانت تُوصف أحيانًا من مُهاجميها بالمومس أو الداعرة!

«سقراط» يُحاول إبعاد «أليكيبيادس» عن «أسباسيا» للرسام الفرنسي «جان بابتيست ريغنيول»

Source:
https://commons.wikimedia.org/wiki/File:Regnault_Socrates_Tears_Alcibiades_from_the_Embrace_of_Sensual_Pleasure.jpg

تنحدر «أسباسيا» من عائلة أثينية عالية النسب استقرت في مدينة «ميليتوس» Miletus اليونانية في «إيونيا» Ionia (آسيا الصغرى)، وعندما هاجرت العائلة إلى أثينا حوالي سنة ٤٥٠ قبل الميلاد كانت «أسباسيا» تبلغ من العمر عشرين عامًا تقريبًا. في ذلك الوقت كان «سقراط» أيضًا في العشرين من عمره. وبعد بضع سنوات، أصبحت «أسباسيا» عشيقة للسياسي ورجل الدولة الأكثر بروزًا في أثينا القديمة: «بيريكليس»، ورغم أن عمره كان ضعف عمرها، إلا أن ثقافتها وانفتاحها وقوة شخصيتها وإيمانها بقدرة المرأة على التعليم والعطاء العقلي والتأثير على المجتمع، بالإضافة إلى كونها المرأة الأكثر ذكاءً، والأكثر جمالاً، والأكثر شهرة في اليونان

القديمة، كل ذلك أتاح لها أن تكون عنصرًا مؤثرًا أساسيًا في السياسة والفلسفة الأثينية برمتها. لكن تلميذ «أرسطو»: «كليرشوس السولي» Clearchus of Soli، يسجل أيضًا أنها قبل أن تصبح عشيقة لبريكليس، كانت على صلة قوية بسقراط، وهو ما يتوافق مع بعض الأدلة الأخرى التي تؤكد أن «سقراط» كان جزءًا من دائرة «بريكليس» للمفكرين والفنانين والسياسين عندما كان شابًا، ومن المؤكد أنه قد تعرَّف على «أسباسيا» من خلال تلك الدائرة، بل ووقع أيضًا في حبها!

عُرفت «أسباسيا» بكونها مُعلمة خبيرة في البلاغة، ومستشارة في العلاقات الزوجية، أو بالأحرى في الحب، تمامًا كما تم تصوير «ديوتيما» في الندوة. يروي «سقراط»، وهو يُلقي خطابًا في مدح «إيروس»، تعاليم الكاهنة «ديوتيما» حول ما أسماه «سُلم الحب» Ladder of love، حيث يمثل «السلم» درجات صعود المُحب من أدني درجات الحب، وهي درجة الانجذاب الجسدي النوعي الخالص، إلى أعلى درجاته وهي درجة التأمل في صورة الجمال في حد ذاته، عبر درجات وسيطة فصَّلتها «ديوتيما» على النحو التالي:

١. جسمٌ جميلٌ بعينه: وهذه هي درجة السُلم الأولى، وفيها تتم استثارة عاطفة الحب، الذي هو بحكم تعريفه رغبة في شيء لا نملكه، من خلال مشهد الجمال الفردي، حيث ينجذب المرء إلى سماتٍ جسدية معينة مفقودة من جسده، فالأجسام المختلفة تعني أفرادًا مختلفين.
٢. كل الأجسام الجميلة: وفقًا للعقيدة الأفلاطونية السائدة، تشترك جميع الأجسام الجميلة في شيء مشترك، وهو أمر يتعرف عليه المحبوب في النهاية. وعندما يدرك ذلك، يتخطى شغفه بأي جسم معين، حيث يرى الجمال في كل الأجسام ويتعلم حب الاختلافات.
٣. أرواح جميلة: إذا ما تجاوز المُحب المرحلة الثانية، يستطيع أن يُدرك أن الجمال الروحي والأخلاقي أهم بكثير من الجمال الجسدي، ومن ثم يتوق إلى التفاعل مع الشخصيات النبيلة التي ستساعده على أن يصبح شخصًا أفضل، ويغدو مُحبًا للعقول الجميلة.
٤. قوانين ومؤسسات جميلة: وهذه من صنع الناس الطيبين (النفوس الجميلة)، وهي بمثابة الشروط التي تُعزز حب الجمال الأخلاقي.
٥. جمال المعرفة: يُوجه المُحب في هذه المرحلة انتباهه إلى كافة أنواع المعرفة، وفي النهاية إلى الفهم الفلسفي بصفة خاصة (على الرغم من عدم ذكر سبب هذا التحول، فمن المفترض أن السبب في ذلك هو أن الحكمة الفلسفية هي التي تدعم القوانين والمؤسسات الجيدة).
٦. الجمال في ذاته: وتلك هي الدرجة الأعلى من سُلم الحب، حيث يُحب المرء جمال الحب في صورته الخالصة، ويُوصف هذا النوع من الحُب بأنه حبٌ أبدي؛ لا يأتي ولا يذهب، ولا يُزهر ولا يذبل. إنه جوهر الجمال، يحيا بذاته وصورته في وحدة أبدية. ويفهم المُحب الذي بلغ هذه

الدرجة شكل الجمال من خلال نوعٍ من الرؤية المُباشرة أو الوحي، وليس من خلال الكلمات أو بالطريقة التي نعرف بها أنماطًا أخرى من المعرفة العادية.

يشير «سقراط» إلى أن «ديوتيما» قد أخبرته أنه إذا وصل إلى أعلى درجة من درجات السُلم، وفكر في صـــورة الجمال في ذاته، فلن يتم إغوائه مرة أخرى من خلال عوامل الجذب الجســـدية المُعتادة، ولا شـــيء يمكن أن يجعل الحياة تســـتحق العيش أكثر من الاســـتمتاع بهذا النوع من الرؤية، لأن الصورة المثالية للجمال ستوحي بالفضيلة الكاملة لمن يفكر فيها. وهذا الوصف لسُلم الحب هو مصـــــدر المفهوم المألوف لما يُعرف بالحب الأفلاطوني، أي نوع الحب الذي لا يتم التعبير عنه من خلال العلاقات الجنسية.

لا جدال في أن «أسباسيا» قد تعرضت للافتراء والسب على نطاقٍ واسع من قبل مُعاصريها نظرًا لتأثيرها البالغ على «بريكليس»، لاسـيما من قبل من نصـفهم اليوم بصـحافيّ الفضـائح أو كُتاب الصُـحف الصـفراء، وهو ما اسـتغله حشـدٌ من المؤرخين المدرسـيين للفكر اليوناني، أولئك الذين أقلقتهم تلك السُلطة الكبيرة التي منحها لها «أفلاطون» على «سقراط»، سواء بشكل صريح في محاورة «مينيكسينوس»، أو بشكلٍ ضمني مُستعار في الندوة، بل لقد كان من دواعي سرورهم – فقط لكونها امرأة – أن يصـــفونها بالمومس أو الداعرة، لكننا إذا قبلنا الدلائل الســـابقة على أن «ديوتيما» لم تكن في الحقيقة ســوى «أســباســيا»، فســوف يؤدي ذلك إلى نتيجة تاريخية مثيرة؛ فالمفاهيم المنسـوبة في الندوة إلى «ديوتيما» هي مفاهيم أسـاسـية للفلسـفة، وكذلك لطريقة الحياة التي كان «ســـقراط» يعتنقها: أن العالم المادي يمكن، بل ويجب أن يُنحى جانبًا لصـــالح المُثل العُليا؛ وأن تربية الروح، وليس إرضاء الجسد، هي الواجب الأسمى للحب؛ وأننا بحاجة إلى تحديد شـروطنا لاكتسـاب المعرفة قبل أن نأمل في معرفة ما تنطوي عليه في الممارسـة؛ وأن الخاص يجب أن يخضع للعام، العابر للدائم، والدنيوي للمثل الأعلى.

إن تحديد هوية «ديوتيما» واضـح جدًا، لدرجة أن عدم رؤيته بوضـوح حتى الآن لا يمكن أن يُعزى إلا إلى التحيزات الواعية أو اللاواعية حول مكانة المرأة وقدراتها الفكرية على مر العصـور. وقد حان الوقت لإعادة «أسباسيا» إلى مكانتها الحقيقية بصفتها المرأة التي، من خلال مساهمتها في فكر «سـقراط»، وبالتالي فكر خلفائه، يمكن الاعتراف بها الآن كمفتاح لإرث الفلسـفة الغربية الذي يعود إلى ألفي عام.

- **توثيق المقال بنظام APA:**

عثمان، صلاح (٩، ١١، يناير ٢٠٢٢). «حين وقع سقراط في الحب». أكاديمية بالعقل نبدأ، القاهرة. تم الاسترداد بتاريخ ١١ يناير ٢٠٢٢ من:

https://mashroo3na.com/إصدارات/مقالات/حين-وقع-سقراط-في-الحب/

https://mashroo3na.com/إصدارت/مقالات/حين-وقع-سقراط-في-الحب-الجزء-الثاني/

APA Citation:

Osman, S. (عثمان، ص) (2022, January 9). When Socrates Fell in Love (حين وقع سـقراط في الحب). Retrieved Januaru 11, 2022, from https://mashroo3na.com/إصـدارات/مقالات/حين-وقع-سـقراط-في-الحب/

Osman, S. (عثمان، ص) (2022, January 11). When Socrates Fell in Love (حين وقع سـقراط في الحب). Retrieved January 11, 2022, from https://mashroo3na.com/إصـدارت/مقالات/حين-وقع-سـقراط-في-الحب-الجزء-الثاني/

***